Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية العدد (104) المجلد (1) حزيران 2025

خطبة إبليس اللعين في النار
(دراسة في خصائص الإقناع والتأثير اللغوي)

المدرس الدكتور يسرى هادي رشيد
قسم اللغة العربية - كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة ديالى

Abstract

This study falls within the scope of uncovering the characteristics of analytical reading in the Sermon of Iblis (the Mutilated Sermon), highlighting its thematic features and argumentative value embedded within its stylistic structural fabric. The research examines the techniques of presentation and the effective expressive characteristics employed to achieve the principles of persuasion and linguistic influence. Ultimately, the study aims to extract the formation of conceptual structure and stylistic construction within its argumentative framework and to analyze the impact of its communicative focal points.

Email:

Published: 1- 6-2025

Keywords: الإقناع ، التأثير اللغوي

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

يدرجُ البحث في سياق الكشف عن سمات القراءة التحليلية في خطبة إبليس، وبيان السَّمات المضمونية والقيمة الحجاجية المتشكلة خلف النسيج البنائي الأسلوبي الذي تميَّزت به الخطبة، واستخدام تقنيات العرض والخصائص التعبيرية الفاعلة في تحقيق أُسس الإقناع والتأثير اللغوي، وصولاً إلى تشكيل البنية المفهومية والتشكيل الأسلوبي في منظورها الحجاجي واستخلاص تأثير مراكزه التواصليَّة .

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، الذي علَّم بالقلم، عّلَّم الإنسان مالم يعلم،والصلاة والسَّلام على النبي محمد(ﷺ)، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد ...

فإنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه نوراً وضياءً،وهدى وشفاء، وقد فتح به أعيناً عُمياً،وآذاناً صُماء،وقلوباً غُلفاً،وهدى به من الضّلالة وبصربه الجهالة،وجعله إماماً للمهتدين المتقين،وحجة على الكافرين والضالين، من قال به صدق، ومن حكم به عدل،ومن عمل به نجا، ومن تمسك بأحكامه فله الحسنى وزيادة،ومن جعله وراء ظهره خسر الدنيا والآخرة.

ولايمكن ذلك إلّا من خلال إقامة الحجة على جميع البشر، وهذه هي الغاية من إرسال الرسل (عليهم السَّلام)، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1]، وبيان هذه الحجة يحتاج إلى حوار إقناعي يقوم على أُسس ويمتلك صاحبه القدرة على الفهم والمعرفة .

يهدف البحث إلى إظهارعناصر البنية اللغوية المفهومية ومكوناتها وتشكيلها الأسلوبي .

*** منهج الدّراسـة: يتخذ البحثُ من المنهج الوصفي التحليلي أداة للبحث من خلال المزاوجة بين التنظير والتطبيق .

***خطة الدّراســـة:

المقدِّمة.

موضوع الخطبة.

ثم قسمتُ البحث على مبحثين، هي: .

المبحث الأول: (مؤشرات البناء الإسنادي).

المبحث الثاني: ((مؤشرات التَّشكُّل الأُسلوبي).

متلوة بأهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، ثم ثبت المصادر والمراجع .

**موضوع الخطبة:

يقف إبليس اللعين بين أهل النار خطيباً بكلمات جاءت في كتاب الله عزوجل في سورة إبراهيم[2]، فقد ذكر الحسن كما في القرطبي أن إبليس يقف يوم القيامة خطيباً في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعاً، وقيل أنه يخطب خطبته هذه[3]، والخطيب فيها لم يحمد الله، ولم يثنِ عليه، فكانت خالية من ذكر الله (عزوجل) في مقدِّمتها، وهذه الخطبة لأهل النار، والمعتاد أَنَّ الخطيب يخطب على سامعيه من فوق درجة أو درجات، لكنَّ الشيطان هنا يخطب من أسفل تحت دركات، وإذا كان الخطيب فوق منبره يقرّر ويعظ ويعلّم، فإبليس هنا يتنصل ويبكت ويخزى ويُخزي،وإذا كان إبليس هنا ينكمش ويتصاغر،لأنَّ جموع الطالبين بالحقوق منه هادرة غاضبة صارخة وتطلب التفسير والجواب.

والشيطان في خطبته هذه قابع في الدرك الأسفل، بل في أسفل دركة، خائب حسير، تلفحه النار والعذاب في كل مكان، وملائكة العذاب تضربه من كل جانب، وصراخ أتباعه وعويلهم تزيده آلاماً فوق ماهو عليه، ورؤيته للفقراء والمساكين الذين كان يستهزئ بهم ويتعالى عليهم، وهم ملوك في الجنان تأكل قلبه وتشعل ندمه .

وقد أخبرنا الله تعالى عما خاطب به الشيطان أتباعه وبأمر من الله سبحانه تعالى، بعدما قضي الله بين عباده فأدخل المؤمنين الجنات،وأسكن الكافرين الدّركات السفلى من النار، وجاءت هذه الخطبة في الآية الثانية والعشرين من سورة إبراهيم، ونعرفُ أن مايميز قصة إبراهيم (عليه السَّلام) أنَّها إبراز كلمة التوحيد التي نزَّل بها القرآن الكريم،كما أوردها الانبياء والمرسلون السابقون، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4] .

فقد نزلت سورة إبراهيم لتثبيت عقيدة التوحيد بالحجج والأدلة القاطعة، وكلها تتصل بعظمة الله تبارك وتعالى وقدرته، والغاية التي يقوم عليها الحجاج هي تحقيق الإقناع بالرأي أو بالدعوى المقدَّمة بالاعتماد على الحجّة والدليل.

***التمهيد (مبدأ الإقناع والتأثير):

يقال (ق ن ع) بفتح النون فلان قنوعاً، أي: سأل الناسُ الإحسان راضياً بالقليل[5]، وتكاد تتفق المعجمات العربية القديمة منها، والحديثة على أن لمادة (ق ن ع) معنيين:

الأول: السؤال، والتذليل[6]، والآخر: الرضى، فيقال: (قِنع) بكسرالنون قنعاً وقناعة رضي بما أعطي[7]، وقنع بنفسه قنعاً وقناعة: رضي، وأقنعني، أي: أرضاني .

والإقناع في الاصطلاح، يحدد مفهومه حازم القرطاجني(ت:684هـ)، فيقول: ((هو حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أوالتخلي على فعله واعتقاده))[8]، ومعنى الإقناع ((أن يعقل نفس السامع

الشيء بقول يصدق به، وإن لم يكن ببرهان))[9]، فالتصديق شرط أساس في عملية الإقناع، وقد أورد الجاحظ(ت:255هـ)شروط تحقيق الإقناع عبر الاعتناء بالخطاب شكلاً ومضموناً،ولحصول الإقناع لدى المتلقين له أثر بالغ في القلب ((إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً،وكان صحيح الطبع، وبعيداً من الاستكراه، وكان منزهاً عن الاختلال،مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة))[10] .

ولا يتحقق الإقناع لدى المتلقين إلّا بتضافر اللفظ مع المعنى، أي في حصول الانسجام والتناغم بينهما، ويعرّفه محمد طاهر درويش بأنّه ((صرف ذهن الجمهور إلى تقبل ما يقال، والسكون إليه، واتباع عواطفه، وإرضاء عقله بالحجة والبرهان، وما الاستمالة إلى كسب تأييد هذا الجمهور للقضية المعروضة،واستنتاجه لما يراد منه وهو كيفية تقديم مجموعة من الحقائق إلى جمهور خاص بطريقة تؤدي إلى الاستمالة والإقناع))[11] .

والإقناع هو عملية تستهدف اعتقاد المخاطب، وتسعى إلى نقله من حال إلى حال، من خلال تغيير اعتقاداته ومواقفه وسلوكه وأفكاره، وللعملية الإقناعية أركان ثلاثة: المخاطِب، الخطاب،المخاطَب، ولكل من هذه الأركان مستويات إقناعية متفاوتة الأهمية.

والتأثير في اللغة ((أَثَّرْتُ فيه تأثيراً: جعلت فيه أثراً وعلامة، فتأثر، أي: قَبِلَ، وانفعل))[12]، وهذا التعريف يتوافق مع الفعل التأثيري مع بعض المفسرين بأنَّ تأثير القرآن في المتلقي وجه من الإعجاز القرآني، وأول من أشار إلى ذلك الخطابي بقوله: ((في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس... تستبشر به النفوس وتشرح له الصدور،حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والفلق وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وينزعج له القلوب يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها))[13].

نخلص مما تقدّم أنَّ الإقناع عملية عقلية ترتبط بفعل القول الخطابي، ويترتب على هذا الفعل فعل تأثيري مقصود هو إحداث تغيير في الموقف الفكري، أو العاطفي، أو السلوكي للمتلقي من غير إكراه، أو قسر،فخطاب سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مع النمرود خير مثال على ذلك، كما يظهر أيضاً في قصة طالوت وجالوت[14].

والفارق بين الإقناع والتأثير أنَّ القناعة ربما تتحقق،وتكون عديمة التأثير، مثال ذلك: اقتناع المدخن بحرمة التدخين، ورغم ذلك لا يقلع عنه أحياناً، وإقتناع المشركين بحقيقة الإسلام وصدق نبوءة محمد(ﷺ)، ولا يكون له أثر عليهم بدخول الإسلام[15].

نلحظ مما تقدّم أنَّ التأثير أعمُّ من الإقناع، مع أنهما مترادفان، فالتأثير يشير إلى الحالة التي يكون عليها الفرد بعد التعرض لعملية الإقناع فهو النتيجة المحُقّقة بعملية التأثير، ولذلك يكون التأثيرمرادفاً

للإقناع وفي أحيان التأثُّر مرادفاً للإقناع[16]،والتصديق أساس في عملية الإقناع، وأن لم يتحقق بالأدلة والحجج والبراهين .

يتميز النص القرآني في هذه الخطبة– خطبة إبليس اللعين – بالكثير من وسائل الإقناع والتأثير اللغوي التي تدفع المخاطب إلى التفاعل والانقياد والتسليم إلى سحر البيان القرآني، وقوة الحجة،وسنحاول الوقوف عند أهم هذه الأمور التي تضمنها هذا الخطاب القرآني البليغ .

*** ركائز الإقناع والتأثُّيراللغوي:

معاينة خطبة إبليس لعنه الله في يوم القيامة الشّكلية والمفهومية تكشف عن توّزع ركائز الإقناع التركيبي فيها من مؤشرات التفاوت في البناء الإسنادي، ومؤشرات البناء التركيبي المؤسس على خصائص التشكل الأسلوبي،وكما يأتي:

المبحث الأول: مؤشرات البناء الإسنادي:

اتسمت الجمل والتراكيب في خطبة إبليس بتفاوتها في طبيعة البناء وانقسامها بين الاسمية والفعلية، إذ ابتدأت الخطبة بالصيغة الفعلية الماضوية (قال)، فما المراد من(قال)؟ ولماذا وُظِّفَ بصيغة الماضي؟ وما قيمته التعبيرية بالنسبة للمضامين المترتبة عليه قوليّاً والمتنوعة عنه تركيبياً ؟

القول في اللغة: النُّطقُ، يقال: قال، يقول،قولاً إذا نطق، وأفصح عما في داخله[17]، لكنه يستعمل أيضاً للدلالة على الأفكاروالآراء والاعتقادات[18]،وإذا كان القول ((إبراز ما في القلب وإنشاؤه بأي وسيلة كان. وهذا المعنى يختلف باختلاف الطرفين من جهة التّفهيم والتفاهم،فالقول غير مخصوص بالإنسان والأذن واللسان،بل يجري في أي مقام ومرحلة من عوالم اللاهوت، والعقول والملائكة والإنسان والحيوان، وسائر الطَّبيعيات))[19].

إنَّ للقول في القرآن الكريم قيمة تعبيرية كبيرة، تؤشر بُعدًا وظيفياً قارّاً على امتداد بنيته النصيتين الشّكلية والمفهومية، وأنَّ هذا البعد الوظيفي يتجاوز حدود أبعاده اللغوية المادية المتمثلة بالنطق، فالفهم الأولي المترتب على فعل القول الرئيس(قال) استخدم الفعل الماضي المعروف بدلالته (حدوث الفعل قبل زمن التكلم)، لكن عندما نقرأ (قال)في هذه الخطبة ترى أنَّ هذه الآية المباركة تتكلم بصيغة الماضي ولاتشعر أنَّه إخبار عن شيء ماضٍ بل تشعر بلاشك ولاريب أنّه سوف يقع، وتهزك هذه الآية المباركة من الداخل وتخلق فيك رهبة ذاك اليوم العظيم، وكأنَّك تتعامل مع الحدث المستقبلي، ولاشك أن دلالة الفعل تتحكم فيها مؤشرات ومؤثرات عديدة، وهذا دليل على عظمة القرآن وإعجازه، وكيف يستطيع أن يخترق القلوب بلا استئذان، وتعبير القرآن بصيغة الماضي في الحديث عن يوم القيامة،دليل على أَنَّ القرآن منزل من عند الله (عزو جل) وليس كلام بشر، والمستقبل لله كالماضي، والإخبار عن أمر مستقبلي بصيغة الماضي يفيد تأكيد حصول الفعل، وإنَّ الأمور العظيمة التي تحدث في المستقبل والتي

لا مناصٍ من وقوعها يؤتى بالماضي تعبيراً عنها، وفاعل القول أوالمُطالب بإحداثه واحد (الشيطان) لمقتضى قوانين البناء الشكلي الآسنادي .

إنَّ من مؤشرات البُعد الحجاجي التأثيري تتمثل ببنية وصف (الشيطان) المتمايزة صياغياً الذي تتضح خصائصه الوظيفية في كونها تغني عما سواها من الأوصاف، إذ ذكر اللغويون أنَّ النون في (الشيطان) إذا كانت أصلية، فأنَّها مأخوذة من (شطن) بمعنى البعد، أي: صار بعيداً عن الخير، أو بمعنى: الحبل الطويل، وإذا جُعِلَت النون في كلمة (الشيطان)زائدة كانت مأخوذة من الفعل (شاط – يشيط) إذا هلك، أو من الفعل (استشاط غضباً)، إذا اشتدّ غضبه واحتدَّ .

والشيطان معروف، فكلِّ عاتٍ متمردٍ من الإنس والجن، كما قيل:الشيطان(فَعّلان) من الفعل (شاط – يشيط) إذا احترق وهلك[20]، والقول الراجح فيه أنَّ كلمة (الشيطان) مشتقة من الفعل (شطن)، لأنَها أقرب إلى وصف الشيطان و وصف أعماله التي تهدف إلى غواية الناس، وإبعادهم عن إتباع الحق وفعل الخير، كما أنَّ (شطن) بمعنى: بعد عن الخير، ومال عن الحقِّ، وبهذا يكون اشتقاق الشيطان من (شطن) أقرب إلى الحقيقة من اشتقاقه من شاط، بمعنى: احترق[21] .

إنَّ استنطاق السّمة التعبيرية لوصف (الشيطان) المتمايزة صيغةً واستشعار ظللها الإيحائي المتحول حول معنى كلمة (الشيطان)، فهو وصف يطلق على موصوف، وليس اسماً لشخص أو جنس أو صنف بدليل قوله تعالى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[22]، وهذا الوصف يطلق على كل كافرٍ عدوٍ للمؤمنين، قال تعالى:﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[23]، فالشيطان وصف يطلق على كل الكفار من عالم الإنس والجنِّ، ذلك أنَّ الشيطان ابتعد عن رحمة الله بكفره، وتعدّى ضرره إلى غيره،لذلك فكل كلمة (الشيطان) في النص القرآني وصف لكل من أغرى غيره بالشر والفساد والضّلال، وهو وصف يتحقق في الإنس والجنّ، لاشتراك كل منهما بفعل الغواية وإلحاق الشر والفساد بالغير، فقد وظّف النص القرآني هذا اللفظ دون لفظ (إبليس)، ليكون في تناسب تام، والفارق الدلالي بين لفظتي (إبليس،والشيطان) مايأتي:

إبليس	الشيطان
1– الرافض المتمرد عن أوامر ربّه بالسجود لآدم (عليه السلام).	1– هو وصف لإبليس وعمله في غواية غيره بالسّر والفساد والوسواسة.
2– اسم للعلم .	2– صفة له بأنه يسعى إلى إيقاع الأذى بغيره.
3– ذُكِرَ أبليس في الآيات[24] التي تحدثت عن	3– ورد ذكر الشيطان في القصص التي تتحدّث عن مرحلة ما بعد طرده من رحمة الله وما يفعله من إغواء ووسوسة[25].

قصة الأمر الإلهي. 4- إبليس من الجنّ مخلوق من نار.	4- كل مخلوق من الإنس والجن إذا ابتعد عن الحقّ،فقد استحق إبليس مثلاً وصف الشيطان(العصيان/الخيلاء/التكبر/التمرد/العداوة-الحسد).

لو وقفنا عند هذا النص (لَما قُضِيَ الأمرَ) فمن الذي قضى الأمر؟ إنه الله (عزوجل) هو الذي قضى الأمر! إذاً المعنى الدقيق لهذا النص هو (لما قضى الله الأمر)، ولم يرد اسم الجلالة في هذا النص، لكن بُنِيَ الفعل (قُضِيَ) للمفعول، للعلم بالفاعل، فقضاء الأمور كلها عائد إلى الله، ويعني بقضاء الأمر هنا الحكم بين أهل الآرض أجمعين بدخول الجنة أو النار.

والبناء الاسنادي في قوله: (ولهم عذابٌ أليمٌ)، فـ (أليم) على صيغة فعيل من ألم يألم فهو أليم،ووصف العذاب بـ (أليم)، والعذاب لا يكون أليماً،وإنما الألم والوجع حقيقة للمؤلم-بفتح اللام- وهو المضروب، وإنما ساغ ذلك الاستعمال لكونه على طريقة المجاز العقلي، من قول: (جَدَّ- جدُّه)، والجد يكون للجاد لا للجد،ووصف العذاب بـ (أليم) بمعنى مؤلم فيه نسبة الألم للعذاب المتعلق به.

وقال صاحب المحكم[26]الأليم من العذاب: الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، ولهذا أوثر هذا اللفظ في عذاب المنافقين على (العظيم) في وصف الكافرين، والمغزى الذي يحمله هذا البناء الاسنادي تنبيه السامعين على النظر في عاقبتهم، والاستعداد لما لابد منه، وان يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم، وهذا كلام الله تعالى[27].

المبحث الثاني: (مؤشرات التَّشكُّل الأُسلوبي):

تشكِّل الخاصية الأسلوبية مصدراً رئيساً للفاعلية التأثيرية التي تسعى إليها النصوص اللسانية العالية، كونها تتحرَّى دراسة الخصائص اللغوية والسَّمات التعبيرية الشكلية والمعنوية التي تؤدي إلى التأثير في المتلقي وإقناعه بمضمون النَّص المراد إيصاله[28]، فعملية اختيار العناصر اللغوية وانتقائها وإعادة توزيعها على نحوٍ يُحقق للنص خصائص التأثير والفاعلية والإثارة وصولاً إلى إنتاج منظومة لسانية حجاجيَّة، تمارس وظيفتها التواصلية في الإفهام والتَّفهيم[29]، من خلال تقديم الملفوظات اللسانية وكأنَّها مجموعة من الحجج والبراهين التي ينبغي الالتفات إليها ومراعاتها في عملية التلقي[30]، فإنَّه يحرص على الحضور الفاعل لمتلقيه من إتباعه الجن، وإنَّ أوّل التَّشكلات الأُسلوبية التي تستثير القراءة والتحليل تتمثل بالتوظيف الأُسلوبي لصيغة التوكيد (إنَّ)، والإقناع باسلوب القصر بالنفي والاستثناء، والإقناع بأسلوب النهي، والإقناع بأسلوب النفي، واختيارها وظيفياً من دون غيرها من عناصر النظام اللغوي، لكون هذه الأساليب تشارك في الحقل الدلالي الذي يُعبّر عن بُعدٍ من أبعاد الخاصية الأسلوبية، يتمثل بدقة الاختيار والتوزيع تبعاً للمقتضيات التعبيرية المقصودة.

أوّلاً: الإقناع باسلوب التوكيد :

رصدَّ البحث أسلوب التوكيد في خطبة إبليس اللعين، لتأدية الإقناع، ليكون الأسلوب المختار أقدر الأساليب على التأثير في المتلقي، وتوجيه فكره ومعتقده،ويعمد التعبير القرآني إلى اختيار أسلوب التوكيد لتحقيق أغراضه وتبليغ مقاصده، إذ أكد القول بـ (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ﴾، ليزيدهم حسرةً وندامةً، فأهل النار في موقف عصيب يترقبون فسحة من الرحمة أو بشارة بالخير من شفيع،فأصحاب النار يتدافعون كالموج يطالبون الشيطان أن يبرر لهم هذا المستقر الذي آلوا إليه،وصرخوا بملء أفواههم إيَّها الشيطان أين ماوعدتنا؟ أين ما زيّنت لنا؟ أين ما أقسمت لنا من صرف العقول وصواب الحديث؟فيقف الشيطان فيهم خطيباً، ويغلب التأكيد على حديث الشيطان في هذا الموضع التي تبرأ فيها من الإنسان بعد كفره، فهو غالباً ما يؤكد بـ (إنَّ)، ليرفع من قلوبهم توهم عودته لنصرتهم (إنَّ الله وعدكم وعد الحقِّ)، وهي حقيقة موعود الله (عزوجل)،ليزيدهم حسرةً على حسرتهم،فيمزق قلوبهم بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾، وهنا اعتراف صريح من الشيطان متكلماً بالصّدقِ لأول مرة بأنَّ وعد الله هو وعد الحقِّ ((من إضافة الموصوف إلى الصفة مبالغة في الاتصاف أي الوعد الحق الذي لا نقض له))[31]، غرضه إيقاع الحسرة في قلوب أصحاب النار .

ويتبعه بقوله: ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ﴾، أي: أوهمتكم أن لا بعث، ولاحساب، ولاجنة، ولانار[32]، فكذبتكم، فهذا زيادة في اللوم والندامة، لذلك كرر اللفظ الدَّال على الوعد، وكان له أن يقول: (إنَّ الله وعدكم وعدِ الحقِّ وأخلفتكم)، لكنه كرر اللفظ ﴿وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ﴾، لتذكيرهم بما أملهم به، ليشعرهم ويقنعهم بخيبة الأمل لإتباعه، فهو حلم زائف ووعد باطل، وعطف بالفاء في قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ﴾ رغم وجود فترة زمنية مديدة بين وعده لهم في الدنيا، وتبين بطلان ذلك الوعد في الآخرة، لكن عطف بـ (الفاء)، ليوحي بقرب الزمن بين وعده بالدنيا والحكم بينهم في الآخرة، وكأنَّ الدنيا مضت لحظات، ولهذا يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[33].

ثانياً: الإقناع باسلوب القصر:

القصر من الأساليب الغنية باللطائف والدقائق، وقد اشتملت خطبة إبليس على هذا الأسلوب، وكان له دور في الحمل على الإقناع، فجاء على لسان إبليس في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾، فهو خطاب على لسان الشيطان لمن اتبعه من الإنس في الدنيا يخلي فيه مسؤوليته عمّا هم فيه من عذاب، معلناً أنَّه لم يكن له من تسلط وقهر فأقسرهم به على الكفر والمعاصي وألجأهم إليها[34].

لذلك استخدم اسلوب القصر، ليؤكد على تخليه عنهم، وطرح مسؤولية إغوائهم عن عاتقه،((أي ما اضطررتكم ولاخوفتكم بقوة مني بل عرضت عليكم شيئاً فأتى رأيكم عليه))[35]،لذا استخدم من طرق القصر (النفي والاستثناء) ليقطع القول ببراءته منهم، وليلقي على كاهلهم بالعبء كله، وهنا تلعب خصائص التراكيب دورها في تدعيم القصر، فيقدم الجاروالمجرور (عليكم)، للتوكيد بإنَّ ليس عليه إلزام لهم، وجيء بلفظ (سلطان) نكرة، ليدعم هذا المعنى للتحقير والتقليل، لينفي أي سلطان له عليهم، ولو بأقل القليل، ليسلخ نفسه من حيز المسؤولية، ويثقل كاهلهم بتحمل عبء ضلالهم،ونتيجة سفههم، ونجده يعطف بالفاء بين (دعوتكم) و(استجبتم)، ليوضح أن استجابتهم لوسواسه وقعت سريعاً فبمجرد الدعوة للضلال ضلوا، وكأنَّ نفوسهم كانت مهيأة للوقوع في الضلال، والحق أنه لا يزال يتربص بهم كل الطرق والسُبل حتى يضلوا، ولكن ديدنه التبرء، وذاك من خبثه ولؤم طبعه، لذلك جيء بحرف العطف (الفاء) ليحقق المعنى المراد منه.

وقال (استجبتم) بزيادة السين والتاء،ولم يقل: اجبتم، ليدلل على أنهم اتبعوا هواهم فوافق هواهم إغواء الشيطان، ليجعل لهم دوراً في الغواية والبعد عن الصراط المستقيم، وكأنَّ غواية الشيطان وقعت من نفوسهم موقع الراغب فيها الطالب لها، فبهذا الوزن (استفعلتم) يرفع إبليس في هذا الأسلوب– أسلوب القصر – الاستجابة منهم تدلُّ على أنهم انقادوا إليه طواعية واختيارياً .

ثالثاً: <u>الإقناع باسلوب النهي:</u>

الملحوظ في الأسلوب القرآني أنه ينتقي الأسلوب الذي له أثر واضح في الكشف عن دقائق المعاني وتجلية المستور منها وراء الألفاظ، وهو يكسب الكلام جمالاً وتأثيراً، وجيء باسلوب النهي في الخطبة لتأدية الإقناع، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ﴾((فَلَا تَلُومُونِي) بوعدي إياكم،حيث لم يكن ذلك طريقة القسر...(لوموا أنفسكم)حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل، ولم تستجيبوا لربكم، إذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج))[36]

.

ونلحظ امتزاج أسلوبي الأمر والنهي في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ﴾ زيادة في التأنيب، و((إبطال لإفراده باللوم أو لابتداء توجيه الملام إليه في حين انهم أجدر باللوم أو بابتداء توجيهه))[37]، ولكي ينصب لومهم على ذاتهم وإقناعهم بهذا الشيء، وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة، ويحصلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين[38]، ليبث في قلوبهم الندامة والحسرة، فالسبب الحقيقي لعذابهم نابع من ذاتهم، فسبيل الشيطان معهم سبيل الانتقام من البداية يوم توعدهم، وقال: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[39].

رابعاً: الإقناع باسلوب النفي:

يعدّ اسلوب النفي ملمحاً أُسلوبياً تركيبياً بارزاً في سياق خطبة إبليس في قوله تعالى : ﴿مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، أي:مأأنا بمجبركم من العذاب وأنتم بمغيثيني مما أنا فيه، ((ولذلك آثر الجملة الاسمية، والمراد استمرار النفي وتأكيده لا نفي الاستمرار))[40]، لتدل على ثبات المعنى بعدم نفع بعضهم بعضاً، وذلك لأنَّهم لمَّا استغاثوا به وطلبوه شفيعاً لهم يوم القيامة أن يبرر لهم هذا المستقر الذي آلوا إليه، وصرخوا بملءِ أفواههم:أيها الشيطان أين ما وعدتنا؟ أين ما زيّنت لنا؟ فوبخهم بأنَّ ما هم فيه ناتج لضلالهم وأكد لهم أن ليس لهم مفر من حكم الله في يومهم هذا،فالمراد منه((توبيخهم وتقريعهم،وهذا جواب استغاثتهم واستعانتهم به في دفع ما دهمهم من العذاب))[41].

واشتقاق الفعل من (صرخ) يعكس حقيقة مفادها أنه لا يأتي على لسان الشيطان إلا ما يثير الفزع والهلع والحزن في النفوس، فأتي بالكلمة من مادة(ص ر خ)، ولم يقل: مغيث، فالصراخ: الصوت الشديد عن الفزع أو المصيبة[42].

وذكر قوله: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ ﴾ مع أنه معلوم، إذ من هم في أشد الحاجة لمن يغيثهم لن يغيثوا غيرهم، ولكنه ذكره تقريعاً وتوبيخاً ولوماً لهم، إذا لجاؤا إليه في مثل ذلك اليوم وحاله أسوأ من حالهم،فأن افتقروا إلى النصير فهو إليه أفقر، هذا من جانب آخر، فإن تعبيره هذا يدل على سوء نفسيته، ووصوله إلى مرحلة الإحباط القصوى واليأس التام،مما جعله يثور فيهم محملهم عبء أفعالهم،ومنفساً عن غيضه في وجوههم، حيث أصبح أسير العذاب يترقب جحيم جهنم،فلا حاجة له فيمن يحمله هماً على همه، إلى جانب أنه أصعب أحواله، لايزال يحقد عليهم ويكيل لهم أسىً فوق أساهم.

وجاء إقناع الشيطان في خطبته الحقيقة التي حذر الله– سبحانه وتعالى– منها آدم، وأكدها الشيطان بلسانه صدق الله (عزوجل)، واعترف بأنَّ كلام الله هو الحق، وأظهر حقيقة نفسه وما فعله.

ويلحظ في التعبير (مأأنا بمصرخكم) للمرة الأولى– منذ بداية خطابه– يتكلم إبليس بالصدق ويسوق الحجج الحقيقية، لإقناع المخاطبين–أصحاب النار– لقد دخل النار بالفعل، وأنه لن يعدّ له دور في الإغواء، فقد هلك متبعيه وأصبحوا معه وكشف لهم حقيقة موقفه، فقد نُقِلَ مشهد مستقبلي كأنّه حدث وانتهى بل يشعرنا أنه يحدّث أمامنا الآن ونشاهده بالصورة والصوت فتتلاقى الأزمنة ، فسبحان خالق الزمان والمكان.

الخاتمة ونتائج البحث:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث،هي:

1- إنَّ تأثير الإقناع التداولي في المخاطب أقوى، ونتائجه أثبت وديمومته أبقى،لأنه يصدر من حصول الإقناع عند المخاطب غالباً، لا يشوبه فرض أو قوة .

2- الإقناع يقدم الطروحات والمعطيات الدّالة على صدق دعوى المتكلم (إبليس)، والتي تكمن في حض المخاطب ومحاججتهم (أصحاب النار) القولية أو الفعلية، للتأثير في المخاطب (أصحاب النار) وجدانياً ونفسياً بقصد الإقناع .

3- مارست التراكيب اللغوية دوراً حجاجياً إقناعياً فعالاً في تركيب الشكلي للخطيب (إبليس)اللعين، إذ نلمس مما تقدم في البحث أنه لايوجد إقناع جاهز أو معطى منذ البداية في خطبة إبليس اللعين، بل هو عملية يتم بناؤها تدريجياً بين المتكلمين، واتسمت بالانسجام الكامل بين عناصر العملية الكلامية.

4- كان التوكيد أحد الوسائل اللغوية للإقناع ودفع الشك عن ذهن المتلقي، وقد اضطلع التوكيد بوظيفته الإقناعية التي تمثلت في تقديم الخطبة وفرضها على المتلقي في صورة مسلمات مؤكدة. لاتقبل الشك أو الجدل .

5- كشفت وسائل الإقناع اللغوية في خطاب الشيطان عن استخدامه لاستراتيجة تجسدت في اختيار العبارات والكلمات المناسبة والتخطيط قبل التلفظ لكيفية إنتاج الخطاب وإيصال معناه إلى المرسل إليه، اعتمدت استراتيجية الإقناع عنده على التمويهات والاستدراج لإلهاء السامع- أصحاب النار- عن تفقد موضع الكذب.

6- لأول مرة يكون الشيطان في خطابه هذا متكلماً بالصدق، وإقناع أصحاب النار بالحجج الحقيقية، فقد كان الشيطان في جميع خطاباته قائماً على المغالطة، فبهذا الموقف الحقيقي الذي سيتحقق عندما يدخل النار بالفعل يوم القيامة، فهناك يوقن أنه انتهى دوره في الإغواءِ، فقد هلك متبعيه وأصبحوا معه كما كان يتمنى .

المراجع

(1) من سورة النساء: الآية/165 .
(2) روي عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام من طريق عُقبة بن عامر أنه قال:يقوم يوم القيامة خطيبان أحدهما إبليس يقوم في الكفرة بهذه الالفاظ، والثاني: عيسى بن مريم، والذي قال بخطبة إبليس ما ذكره الحسن البصري والشعبي والقرطبي، ينظر: تفسير الطبري:13/200-201، معاني القرآن وإعرابه:3/158.
(3) ينظر: تفسير الطبري: 13/200-201.
(4) من سورة ابراهيم: الآية/22.
(5) ينظر: مقاييس اللغة(قنع):5/33.
(6) ينظر:لسان العرب(قنع):12/202.
(7) ينظر:المعجم الوجيز(قنع):8/222.
(8) منهاج البلغاء :24.
(9) مفاتيح العلوم:177.

([10]) البيان والتبيين:87/1.
([11]) الخطابة في صدر الإسلام:1/1 .
([12]) المصباح المنير:4/1 ، وينظر: لسان العرب:5/4، والمعجم الوسيط: 5/1.
([13]) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرأن الكريم: 70 .
([14]) ينظر:خروج الكلام على مقتضى الظاهر:888 .
([15]) ينظر :المصدر نفسه:888 .
([16]) ينظر:الإقناع الاجتماعي: 17،18 .
([17]) ينظر:مفردات ألفاظ القرآن(قول):688،أساس البلاغة:110/2.
([18]) ينظر: مفردات ألفاظ لبقرآن:688-690 .
([19]) التحقيق في كلمات القرآن (قول):376/9.
([20]) ينظر:لسان العرب: 238/13.
([21]) ينظر:التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن:478.
([22]) من سورة البقرة: الآية/36 .
([23]) من سورة فاطر: الآية/6 .
([24]) ينظر: الآيات، الحجر:الآية/28-33،الإسراء:الآية:61.
([25]) ينظر:الانعام:112-113
([26]) ينظر:المحكم والمحيط الاعظم(ألم):416/10.
([27]) ينظر: البحر المحيط:409/5.
([28]) ينظر:المنهج الاسلوبي في الدراسات القرآنية:4 .
([29]) ينظر: الانزياح في الخطاب البلاغي والنقدي عند العرب:145 .
([30]) ينظر:سيمياء الانساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية:130.
([31]) تفسير التحرير والتنوير:219/13.
([32]) ينظر: البحر المحيط:408/5، وروح المعاني:216/13.
([33]) من سورة الروم: الآية/55 .
([34]) ينظر:الكشاف:550/2 .
([35]) البحر المحيط:408/5 .
([36]) تفسير أبي السعود: 42/5.
([37])تفسير التحرير والتنوير:219/13.
([38]) ينظر:تفسير البحر المحيط:408/5 .
([39]) من سورة الأعراف: الآية:.16 .
([40]) روح المعاني:265/13.
([41]) روح المعاني:265/13.
([42]) ينظر: لسان العرب:222/8.

ثبت المصادر والمراجع:

*****القرآن الكريم(مصدر العربية الأول)

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم(تفسير أبي السعود)للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي، ط1، دار إحياء التراث العربي-بيروت- لبنان، د.ت .
2- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت:538هـ)،دار صادر- بيروت/ط1، 1399هـ- 1979م.
3- الإقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العلمية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2006.
4- الانزياح في الخطاب البلاغي والنقدي عند العرب،د. عباس رشيد الددة، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد،ط1، 2009م.
5- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي الغرناطي(ت:754هـ)،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
6- بيان إعجاز القرآن- ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- ت:محمد خلف الله وزغلول سلام-دار المعارف، مصر/د.ت.
7- البيان والتبيين، للجاحظ، ت:عبد السلام محمد هارون،طبعة دار الهلال ، بيروت/1423.
8- التحرير والتنوير،محمد الطاهر ابن عاشور،مؤسسة التأريخ-بيروت،ط3، 1430هـ/2009م.
9- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة المصطفوي، دار الكتب العلمية-بيروت،ط3، 1430هـ/ 2009م.

10- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، 1405/1985هـ.
11- خروج الكلام على مقتضى الظاهر- دراسة تداولية في أسلوب الأمر في سورة البقرة،د. أحمد محمد عبد الرحمن حسانين، مجلة الآداب جامعة أسيوط .
12- الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر، دار المعارف، مصر،ط ،2007 .
13- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الآلوسي(1270هـ)،ضبط وتصحيح: عبد الباري عطيّة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2، 1426هـ/2005م.
14- سيمياء الانساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية،د. آمنة بلعلي، دار رؤية- القاهرة،ط1، 2015.
15- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله محمود الزمخشري(ت: 538هـ)،دار المعرفة-بيروت،ط1- د.ت .
16- لسان العرب، ابن منظورالانصاري(ت:711هـ)،الدار المصرية للتأليف والترجمة- القاهرة،ط1300،1هـ.
17- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان.
18- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للفيومي،ت: عبد العظيم الشاوي،دار المعارف، ط2،د.ت .
19- معاني القرآن وإعرابه،أبي إسحاق إبراهيم محمد بن السري الزجاج البغدادي(ت:311هـ)،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث القاهرة .
20- مفاتيح العلوم، محمد أحمد بن يوسف الخوارزمي، ت: إبراهيم البياري، دار الكتاب العربي، بيروت 1989.
21- مفردات ألفاظ القرآن، العلامة الراغب الاصفهاني(ت: 425هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي،دار القلم- دمشق، الدار الشامية،ط4، 1425هـ.
22- مقاييس اللغة،أحمد بن فارس ، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
23- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الهيئة العامة ناشرون،1993.
24- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهرة1993 .
25- منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرجاطني، ت: محمد الحبيب، دار الغرب، بيروت 1988.
26- المنهج الاسلوبي في الدّراسات القرآنية عن تفسير سورة الفاتحة اختيارا،د. عواطف كنوش مصطفى، مجلة آداب البصرة، العدد(38)، 2005م.